

## الوهم المفتعل في إدارة الدولة



صلاح نوري

بغداد

طالما دأبت حكومة مصطفى الكاظمي على اظهار تماسك الاقتصاد العراقي ،وقدرته على مواجهة التحديات رغم صعوبتها الا ان ذلك المنطق لم يصمد طويلاً أمام أزمة اقتصادية خانقة تزداد حدتها يوم بعد آخر حتى أصبح الكاظمي وكابينته الحكومية في حال من الوهم المصطنع بانهم قادرين على قيادة البلاد في ظل تلك الأزمة الاقتصادية الى بر الامان.

وعلى الرغم من حيثيات وممولات تلك الأزمة الاقتصادية ذات الجذور العميقة الا اننا لا يمكن نعلق جميع الاخطاء والازمات على شماعه النظام السابق،فالأخير ولي وانتهى واصبح جزء من الماضي،وبالتالي الماضي او التاريخ يمكن دراسته والاستفادة منه في تجنب الأخطاء السابقة،وتصحيح المسار ،فجميع الحكومات العراقية بعد عام 2003 يبدو انها لم تتعض من سياسات النظام السابق والتي ادخلت البلاد في متاهات اقتصادية وسياسية انعكست على الواقع الاجتماعي .

واذا نظرنا الى السياسات العامة للحكومات العراقية المتعاقبة بعد عام 2003 في مختلف مفاصل الدولة نرى انها كانت ذات زالت تعبير على وهم النظام السابق والارث الذي خلفه لها مع العلم ان جميع الامكانات والموارد ،والقدرات هي متاحة للنظام السياسي الحالي الا ان سوء الإدارة ،والتخطيط وعدم التوظيف الصحيح للموارد والقدرات لازم عمل جميع الحكومات العراقية ما بعد عام 2003 فكانت السياسات العامة للحكومات العراقية عبارة عن ردود افعال ،وليس خطط وبرامج ممنهجة توضع لحل المشكلات التي يعاني منها المجتمع وبالتالي اصبح لزاماً على صاحب كل قضية او مشكلة او رأي ان يخرج للتظاهر او الاعتصام لايصال صوته للحكومة والمجلس التشريعي علماً ان جميع المشكلات هي عامة ،وذات انعكاسات اجتماعية واقتصادية .

ان العمل وفقاً لردود الافعال سوف يجعل صانع القرار العراقي عبارة عن متلقي وليس المبار في عملية اتخاذ القرار وبالتالي فان ذلك الشيء ،يؤثر على اشكالية فعلية على طبيعة النظام السياسي العراقي والذي من المفترض ان يكون نظاماً فاعلاً عبر الأدوات والاليات التي بينها الدستور .

ويجب اخر تقرير للبنك الدولي عن العراق فمن المتوقع ان تاخذ عملية النمو الاقتصادي طابع هبوطي وان يتكسر اجمالي الناتج المحلي بنسبة 2% عام 2020 وستستمر الاضطرابات السياسية ذات الطابع الاجتماعي الاقتصادي بسبب نقص الاصلاحات في القطاع العام والخاص ،ونتيجة ذلك يتوقع ان يتباطأ نمو اجمالي الناتج المحلي من غير النفطي ليصل الى 2. %7 في عام 2021.

### تقارير دولية

وعلى الرغم من تلك التقارير الدولية التي تدل على تراجع نمو الناتج المحلي الاجمالي الا ان الماكينة الاعلامية الحكومية لا زالت تعيش في الوهم المفتعل الذي كان من صنع الحكومة العراقية فقامت بتصوير البلاد باللون الوردي الزاهي الذي يتطلع ويسعى الى تحقيق المزيد من اهداف التنمية المستدامة بعد ان حقق جزء منها حسب وجهة النظر الحكومية ،ومن تلك الاهداف المتحققة في العمل على مكافحة الفساد ،صحيح ان حكومة مصطفى الكاظمي اقدمت على فتح ملفات الفساد الا انها وبكل صراحة لا تستطيع التوسع اكثر في عملية مكافحة الفساد دون الوصول الى السياسيين المتنفذين في عملية صنع القرار فعملية مكافحة الفساد سوف تطل بعض السياسيين الذين لا يمتلكون تأثير في دوائر صنع القرار،وبالتالي ومن خلال تلك الخطوة يسعى رئيس الحكومة الى كسب تأييد شعبي وتجديد صورته اعلامياً عبر بث خطاب يحاكي هموم وتطلعات الشعب العراقي الا انه في واقع الامر لا يستطيع فعل شي بسبب عدم امتلاكه الأدوات اللازمة لتحقيق تلك الاهداف فضلاً عن وقوعه بين فكي كمشاة الاحزاب والكتل السياسية والمحاكمة الطائفية التي اصبحت بيضة الغراب في العملية السياسية برمتها ،وقد يكون الحل في الخروج من الوهم المصطنع الذي تعيشه الحكومة العراقية وان تعيش الواقع العراقي بكل تفاصيله ايجابية وسلبية ،ومن ثم وضع الخطط والبرامج والاليات لحل المشكلات السياسية ،والتي غالباً ما يكون جوهر تلك المشكلات ذو صبغة اقتصادية واجتماعية .

وكانت من مخرجات تلك السياسة الممنهجة قيام حكومة مصطفى الكاظمي عبر اعلامها الموجهة الى تصوير الحقوق على انها مكرومة ،حتى اصبح ذلك الشيء مترسخ في ذهن المواطن العراقي من خلال عمليات ممنهجة يراد منها ان يعيش المواطن في ذلك الوهم المفتعل نفسه الذي تعيشه الحكومة العراقية فاصبحت عملية صرف الرواتب لموظفي الدولة تاتي من خلال موافقة رسمية من قبل رئيس مجلس الوزراء ان تلك السياسة الممنهجة والتسويق السياسي والاعلامي لشخص رئيس الحكومة يراد من وراء الترويج اعلامياً للانتخابات القادمة عبر تقديم نفسه بأنه الشخص المنقذ والمحقق لتطلعات الجماهير العراقية ،وبالتالي فان تلك العملية سلاح ذو حدين ومن الممكن ان تكون لها تغذية عكسية تؤثر على سياسات الحكومة مستقبلاً.

### متغيرات الشعب

وقد تدفع تلك المتغيرات الشعب العراقي الى انتهاج سلوك سياسي غير عقلاني ذات ميول رمزية مثل القيم المعيارية والتعاطف مع الخطاب السياسي المطروح اذ غالباً ما يميل رئيس الحكومة الحالي الى اثاره تعاطف الجماهير معه لا عن طريق الحوار بل عن طريق استحضار مشاعر التضامن والتأكيد على اهمية قوة راس الهرم في الدولة العراقية وسيادتها والايحاء للمواطنين ان كل شي يسير وفق خطط مدروسة ،ان ذلك قد لا يصمد طويلاً أمام الحقائق التي تكشف للشعب العراقي يوم بعد اخر.

# أما أن الأوان لحل قضية كردستان؟

السبعة عشر، بعد إسقاط نظام صدام حسين، أثبتت إن التعايش أو الشراكة الحقيقية لا يمكن تحقيقها، خاصة وأن ما حدث خلال تلك الفترة كرس ذات الثقافة التي تعاطت مع شعب كردستان، حيث تم إقصائه وتهميشه بأساليب خبيثة، ربما أكثر إيلا ما مما حدث سابقاً، فقد تم محاصرة الإقليم وإشاعة الكراهية والحقد ضده وضد قياداته ورموزه، والعمل على شق صفوفه والعودة إلى سياسة تصنيع ما كان يسمى بـ(الجثة) أو (الجحوش) ، كما

يسمونهم في كردستان من عملاء أنظمة بغداد، ومحاولة تدميره من خلال قطع حصته من الموازنة السنوية، بما في ذلك مرتبات الموظفين والبيشمركة التي عملوا على إضعافها بل وتدميرها.

**أقليم مزدهر**

لقد كان الإقليم قاب قوسين أو أدنى من أن يكون واحداً من أكثر الأقاليم بل الدول ازدهارا في الشرق الأوسط، مما أربع الحاكمين في بغداد، الذين عملوا على إيقاف تلك التجربة التي خفضت نسبة الفقر من 50 بالمئة عشية إسقاط نظام صدام حسين، إلى أقل من 7 بالمئة في 2013م حسب إحصائيات وزارة التخطيط العراقية، وكذا الحال في الصحة والتعليم والتدريب العالي وخدمات المواطنين وفي مقدمتها الكهرباء، التي غطت كل ساعات اليوم قبل 2014م، ولا نريد الخوض في تفاصيل الماسي التي سببتها حكومات العهد الديمقراطي، منذ أول حكومة بعد نيسان 2003 وحتى الأخيرة، فلم تتغير خارطة الطريق التي استخدمتها كل حكومات بغداد منذ قيام المملكة العراقية وحتى يومنا هذا، وما تحقق في كردستان إنما انجزه شعب كردستان وفعالياته السياسية والاجتماعية، وما صوده أمام الحصار والتأمر والحرب القذرة التي شنها العنصريون والفاشيون والقوميون الدينيون على كردستان، باسم ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية، منذ أكثر من ست سنوات إلا استكمالاً للانتقال والحرب الكيماوية والحصار

وحبوان ويشتر، ولا تكاد توجد قرية أو بلدة أو مدينة في كردستان، إلا وتحتزن في ذاكرتها تلك الماسي التي اقترفتها كل الأنظمة المتعاقبة دونما استثناء، حتى وصل الأمر بانهم لم يتكفوا بإبادة السكان بل عملوا على إبادتهم في هويتهم وانتمائهم، فأصدروا حملة من القوانين العنصرية التي تمنع تملك الكوردي أي عقار أو سيارة في نيغوى وكركوك وديالى قومية عربية من خارج المنطقة، كما في قانون تصحيح القومية سيئ الصيت، ناهيك عن عمليات التعريب البشعة والتهميش والترحيل القسري للسكان واستقدام مجموعات قومية عربية من خارج المنطقة وإسكانها بدلا منهم كما حصل في كركوك وديالى والموصل.

لقد تجاوزت تلك الحكومات في تعاملها مع الكردستانيين حتى إسرائيل وجنوب أفريقيا في تعاملهما مع السكان الأصليين سواء الفلسطينيين أو الأفارقة، حيث استنسخت وبشاعة ثقافة الاستيطان وعملت على تطويق كردستان بحزام نارٍ في العنصريين والفاشيين، الذين تم إسكانهم على أطلال قرى ومدنات التي تم إقصاءها، كما حصل في كركوك وإطرافها وسنجار وإطرافها وخانقين وإطرافها، وبعد سنوات الضيم والطغيان، تماشى شعب كردستان بإسقاط تلك النماذج المقبحة، التي مثلها البعث والعنصريين الآخرين في نيسان 2003م، لكن الأحداث التي مرت خلال السنوات

عمليات الإبادة، الدفاع عن نفسه، كما حصل في معظم الثورات والانتفاضات عبر تاريخه، لقد اختار الكوردي ولاية الموصل، التي كانت تضم معظم كردستان العراق، الانضمام إلى المملكة العراقية، ورفضوا اعتبارهم ولاية تركية مقابل الاعتراف بحق تقرير المصير وتحقيق طموحاتهم السياسية والثقافية، التي كانت تتمتع بمقبولية واحترام للعائلة الهاشمية كبيرة لدى الأهالي، الذين يدينون في غالبيتهم بالإسلام، ورغم ذلك وبعد سنوات ليست طويلة ظهرت بوادر الغدر والتحاييل والتخلي عن تلك الوعود، بل وذهبت حكومات بغداد المتعاقبة، ومن مختلف التوجهات والعقائد، إلى كبح جماح طلائع الكوردي واعتقالهم وإعدامهم وشن حرب شعواء على كردستان، منذ ثلاثينيات القرن الماضي، وحتى غزوة ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية داعش، التي اعتبرت الكوردي مرتدين وحب إبادتهم كما فعل صدام حسين وعلي كيمياري في حلبجة والانفال وأقرانه في سوريا.

**إبادة جماعية**

لقد تعرض شعب كردستان العراق إلى أقسى أنواع الاضطهاد والإقصاء بل والإبادة الجماعية، كما حصل في منتصف سبعينيات القرن الماضي، وفي الأنفال في أواخر ثمانينيات القرن العشرين، حيث تم قتل ما يزيد على ربع مليون مواطن كردستاني، وتدمير خمسة آلاف قرية، وجمع قرى الشرق بما فيها من نبات

منذ أن ادغمت كردستان باجزائها الاربعة في دول لا ناقة لشعوبها فيها ولا جمل، وكل أنظمة حكمها ترعب الكوردي وترهبهم من تبعات استقلال الجزء الذي تسيطر عليه تلك الدولة، وأن كوارث عظيمة ستنازل شعب كردستان، بل وقد ذهب البعض الى تاييدنا من منطلق حق تقرير المصير، لكنه وفي اول محاولة جديدة للاستفتاء على الاستقلال انبرى هؤلاء المؤيدون لحق تقرير المصير وجلبهم من اليساريين والتقدميين والديمقراطيين، انبروا الى اعلان خشيتهم علينا من الغول التركي والارابي، وإننا ستكون دولة محاصرة ستنهز حالها حال شقيقتها في كردستان الشرقية، التي اغتالها التوافق السوفيني الإيراني بصفقة غير طاهرة، بالضبط كما كان يرهبنا صدام حسين وحزبه والقذافي ولجانه الشعبوية وبعث سوريا واسده، من إن أي محاولة لإزالتهم من الحكم ستقوم القيامة، بل هدد صدام حسين بأنه سيحبل العراق إلى حفنة تراب إذا اخذوا الحكم منه، بهذه الثقافة والعقلية تعاملت معظم الأنظمة العنصرية والمحتلة لكردستان في أجزاءها الاربعة، مع طموحات شعب يتجاوز تعداده الاربعة مليون نسمة، يرفض الاستكانة ومحاولة إلغائه، ويصر على أن يمارس إنسانيته وحرية وخياراته الاجتماعية والثقافية والسياسية وبشكل حضاري، دونما الذهاب إلى خيارات أخرى لولا انه اضطر إزاء

# التحولت الجديدة في زمن الأنترنت

## شاكر الساعدي

ميسان



الانزياح، وحلت محلها قيم معولة تنجسد في اللغة ونمط اللباس ونمط الاستهلاك ووسائل التعلم، من خلال هيمنة اكتساح التعليم الإلكتروني من طرف الحكومة والقطاع الخاص، إذ يتم تعليم الأطفال تعليماً عصرياً مبنياً على القيم الجديدة، عندما تأخذ العلوم الصرفة الحصة الأكبر في

مجالات الدراسات الأولية والدراسات العليا في الكليات الحكومية والأهلية بما فيها الموسوية على التبار الديني، واصبح تدريس العلوم الدينية حصة ثانوية ومقتصرة على رواده ومريديه والمترشحين من قبل حوزات وأحزاب دينية معروفة على الساحة السياسية . كما إن مؤسسات الجماعة المشكلة من أعيان القبيلة واعيان المدينة أو القرية بدأت تأخذ دورها الختامي نتيجة المنافسة من طرف مؤسسات جديدة مثل الجمعيات والمنخبين لمجالس المحافظات آنذاك ومجلس النواب باعتبارهم سلطة جديدة منافسة لسلطات الجماعات الأخرى أحياناً.

فحل الخلافات لم يعد نقاشاً داخلياً داخل الدواوين العشائرية بموجب إله الفقيه وسلطة الجماعة حله كما كان في الماضي. وإنما أصبحت أغلب النزاعات الكبرى يتم تدبيرها إلى مؤسسات الدولة المختصة بشؤون العشائر التي تضمن شيوخ عشائر ووجهاء رأي معروفون .

رغم أن الحكومة غارقة بديون مليارية سيادية ومستدامة، وإن موازنة 2019 قدسدت 08مليار دولار وعجزه المالي

المعرفة ليس حافزاً داخلياً بقدر ما هو نتيجة اكراه خارجي . كما تسجل النسبة العالية لتسعملي الأنترنت من أجل متابعة الأنشطة الرياضية، وهو مؤشر دال على مركزية الرياضة وأنشطتها لا سيما كرة القدم التي أصبحت نشاطاً يومياً يحظى باهتمام الشباب وكبار السن على حد سواء .

التأثيرات المحصلة عليها تكشف إن الفيسبوك هو الفضاء الأكثر استعمالاً من طرف رواد الأنترنت ومستعملي الشبكات الاجتماعية، إذ إن نتائج المقابلات التي أجريت مع البعض من الراشدين يستعملون الفيسبوك، في حين المراهقين يستعملون اليوتيوب والسناشات .

**التحولت الكبيرة**

غير إن هناك تحولات مهمة بدأت تعيشها مؤسسات الفقهاء، وهو ما يعني إن سلطة تقليدية بدأت في

المرتبطة بها، لحين ظهور المنقذ الذي ينتظرون، لذلك يصبح التدين أداة وظيفية لرفع منسوب التحمل والقدرة على الصمود والبقاء في واقع صعب ومعقد .

أما أهم ملاحظة يمكن الانتباه إليها هي أن التدين أصبح مرتبطاً بالكرم والولائم فالشخص الأكثر تديناً ليس هو الشخص الأكثر فقهاً، ومعرفة بأصول الدين وإحكامه وبفقه المذهب فقط، وإنما هو الشخص الأكثر كرمًا، أي من ينظم ولائم دورية بالمناسبات الدينية المعروفة عندهم .

### الواقع الافتراضي

هو واقع للحرية تخيب فيه سلطات المجتمع والدولة معاً، كما انه يمنح هوامش واسعة للفعل والحركة والتحرر من كل الالتزامات يكفي أن يزجك شخص معين يتم حذفه أو تعليق التواصل معه، لأن الأمر لا يحتاج إلى أقل من عشر فوان .

إن نسبة 10بالمئة من مستعملي الأنترنت لهم اهداف معرفية وبحثة وهي نسبة قليلة وأغلبهم من الطلبة والتلاميذ الذين يلجئون إلى الأنترنت كإداة وظيفية من أجل انجاز عمل أو واجب مدرسي، أي إن البحث عن

19مليار دولار، والعراق مدين للبنك الدولي 151مليار دينار عراقي أي 25مليون دولار، وعليه دين من الصندوق النقد الدولي 70 مليار دينار أي 8مليون دولار

وبذلك يبلغ المجموع التقريبي لديون البنوك والمؤسسات العالمية وفوائدها ما يقارب 13 مليار دولار... أما موازنة عام 2020م تفر بعد وموازنة 2021م تتخذ المخطط القادم من أرض نخر والحجاز .

**إفلاس الدولة العميقة**

استمر النظام الاقتصادي والسياسي الحالي في توسيع فجوة عدم المساواة، إلى جانب استمراره في تركيز رأس المال والنفوذ ضمن فئات معينة وتهميش الأغلبية الساحقة من أبناء الشعب ، بحيث ارتفعت مستويات الفقر والاضياء وتم تجاهل أبسط الأساسيات يوماً بعد يوم . لسوء الحظ أظهرت جائحة كورونا الفجوات العميقة والفشل الذريع الذي يعاني منه نظامنا السياسي والاقتصادي ، بحيث ضربت الجائحة صحة مئات الألوف من الناس وصحة اقتصادنا الذي يعتمد على تصدير النفط المحمول الرئيس لخزينة الدولة والذي هوى نحو الأسفل خلال الفترة السابقة.

ستستمر هذه العوامل على التأثير على اقتصادنا لسنوات عدة، وهي فقط جزء من السيل الجارف من الكوارث والأزمات التي سنعاني منها مع تفاقم آثار تغير المناخ خلال السنوات والعقود القادمة.

أراض شاسعة تستاجر أو تشتري أو تمنحها من الدولة شخصية ((

لجهات وشخصيات وعتبات دينية، وقد تحولت إلى مزارع نخيل وأشجار مثمرة وبحيرات لزربية أسماك وأساطيل عربات النقل البري ومطارات ضخمة ومستشفيات عامة وتخصيص وجمعيات وفنادق سكنية وترفيهية للأغنياء الجدد ومحدفي النعمة من فاسدي الأحزاب، بل وحتى مقابر خاصة ومن الدرجة الأولى موتاهم، والجديد انها بدأت تستعد للاستثمار في مجال النفط وبناء المصافي النفطية والمستشفيات الغازية.

علينا اليوم إعادة تقييم أولويات نظامنا السياسي والاقتصادي، ووضع حياة وصحة الناس قبل أرباح وامتيارات المسؤولين، وصحة الشعب قبل الريح المادي ، لا يمكن تحسين الوضع الاقتصادي من دون تحسين النظام السياسي، ولا يمكن إرساء المساواة من دون نظام اجتماعي واقتصادي، ولا يمكن للنظم السياسية إلا أن تضع الإنسان والبيئة أولاً .

لأنها وكما أثبتت التجربة أولويات نظامنا السياسي والاقتصادي، ووضع حياة وصحة الناس قبل أرباح وامتيارات المسؤولين، وصحة الشعب قبل الريح المادي ، لا يمكن تحسين الوضع الاقتصادي من دون تحسين النظام السياسي، ولا يمكن إرساء المساواة من دون نظام اجتماعي واقتصادي، ولا يمكن للنظم السياسية إلا أن تضع الإنسان والبيئة أولاً .

لأنها وكما أثبتت التجربة أولويات نظامنا السياسي والاقتصادي، ووضع حياة وصحة الناس قبل أرباح وامتيارات المسؤولين، وصحة الشعب قبل الريح المادي ، لا يمكن تحسين الوضع الاقتصادي من دون تحسين النظام السياسي، ولا يمكن إرساء المساواة من دون نظام اجتماعي واقتصادي، ولا يمكن للنظم السياسية إلا أن تضع الإنسان والبيئة أولاً .